أسماءُ الجهاتِ الستّ في القرآن الكريمِ
١ـ تَحْتَ

د. كاطع جار الله سطام
كليه الاداب - الجامعه المستنصريه

توطئه : احتدمت في متن العربيه الفاظ استعملها العرب للدلاله على ما يحيط بهم من الجهات الست التي هي(فوق وتحت، يمين وشمال،امام وخلف) وقد شغل النحاة القدامى بإعراب هذه الاسماء في حال لزومها الظرفيه او خروجها منها، ولكنهم لم يتوسعوا في بحثهم ليشمل تلمس الفروق الدقيقه بين الاسماء الداله على الجهه الواحدة ولا الفروق الدقيقه بين التراكيب المختلفه في استعمال الاسم نفسه . فقد تعددت اسماء الجهـه الواحـدة فمـن(امام، قدام، قباله، ازاء) و(خلـف ، وراء) و(تحت ، دون ، ادنى _ دنيا ، اسفل _ سفلى) و(فوق ، اعلى _ عليا ، اقصى _ قصوى ، على) و(يمين ، ذات اليمين) و(شمال، ذات الشمال ، يسار) . وما جرى مجرى الجهات نحو (عند ، لدن ، وسط، بين ، حول) . تم إن كل اسم من هذه الاسماء جاء في انماط متعددة من التراكيب وهو تعدد يفضي إلى اختلاف الإعراب المنبئ باختلاف الدلاله إذا ما علم ان علامات الإعراب دوال على المعاني . فـ(تحت) _ مثلا_ جاءت مجرورة بـ(من) في موارد قرانيه وغير مجرورة في موارد اخرى وفي حال جرها اكتفى المفسرون بالقول : تحت خرجت عن الظرفية وفي حال عدم جرها قالوا : تحت ظرف مكان مبنيّ . وعلى الرغم من ذلك نلحظ بعض الالتماعات الدلالية التي تفصح عن

شيء من مدلول اسماء الجهات الست ، ويمكن تلخيص ما ذكروه من معاني هذه الاسماء بما ياتي[١] :

١_ إنّ هذه الاسماء لا تعرف حقيقتها إلا بذكر المضاف إليه بعدها ومن هنا قالوا إنها اسماء مبهمة .

٢_ إنّ هذه الاسماء لا تلزم مسمّاها فما كان خلفك قد يكون (قدام) لغيرك وما كان تحتك قد يكون (فوق) لغيرك وما كان فوقك قد يكون (تحت) لغيرك .

٣_ إنّ هذه الاسماء لا تقيّد مسمّاها بمكانه تقييدا ابديا فما كان (تحت) اليوم قد يكون (فوق او يمين او شمال او خلف) غدا ومثل هذا يقال في سائر اسماء الجهات التي تتعاور في الظرفية بحسب اختلاف الامكنة مع مرّ الزمن وتختلف باختلاف الكائن في المكان لانها جهات له .

٤_ إنّ هذه الاسماء لا امد لها معلوم فما خلفك يكون اسما لما وراء ظهرك إلى اخر الارض وما كان(فوق) يكون اسما لما يعلوك علوا غير متناه في البعد والمسافة ممتدّا ما امتدت السماء فوقنا ، وما كان امامك كان غير محدود وكان هذا اللفظ يشتمل على جميع ما يقابل وجهك إلى ان تنقطع الارض.

٥_ إن هذه الاسماء تسمى غايات من جانبين احدهما انها حدود ونهايات لما تحيط به وغاية الشيء اخره فسميت بمعناها والاخر ان تمام الكلام يحصل بالمضاف إليه بعدها فإذا قطعت عنه صارت هي اخر وغاية نائبة عن غيرها

وللوقوف على شيء من اسرار العربية عموما والتعبير القراني خصوصا في استعمال اسماء الجهات الست ينبغي الإفصاح عن امرين ما زال الغموض يحيط بهما:

الاول : تلمّس الفروق الدقيقة بين اسماء الجهة الواحدة .

الاخر : التمييز بين دلالة التراكيب المختلفة في استعمال الاسم نفسه .

والمقام يطول ببحث جميع اسماء الجهات في القران الكريم لـذا سـياتي البحث خاصا بالجهة (تحت) التي يمثلها اربعة الفاظ قرانية هـي (تحـت ، دون ، اسفل ، وادنى) وفي النية إتمام البحث في هذا الموضوع كي ياتي في كتاب يجمع اطرافه.

١: تحت

ورد ظرف المكان (تحت) في واحد وخمسين موضعا من التنزيل العزيز وقد جاء التعبير القراني لجملة الظرف (تحت) زاخرا بالدلالات الدقيقة التي انكشف اللثام عنها بعد طول تامل وإنعام نظر في التعبير القراني فضلا عن التزود بالإشارات والالتماعات الدلالية التي قالها العلماء معتمدين على فهمهم الخاص وتذوقهم لكلام العرب وعلى العموم جاءت جملة الظرف(تحت) الدي مدلوله (اسفل الشيء) في القران على نمطين :

الاول : اسم + تحت + اسم

وهذا هو النمط الحقيقي الذي يستدعيه مدلول (تحت)،إذ المفهوم منـه فـي كلام العرب وجود اسمين (جثتين) احدهما اسفل الاخر وقد جاء في القـران الكريم ستة امثلة لهذا النمط هي :

١_ الكنز تحت الجدار ، ودلك في خبر موسى وصاحبه عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينه وكان تحته كنز لهما** ﴾ الكهف ٨٢ .

٢ _ الضالون تحت الاقدام في قوله تعالى: ﴿ **وقال الدين كفروا ربنا ارنـا الدين اضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين** ﴾ فصلت٢٩ .

٣ _ المؤمنون تحت الشجرة في قوله تعالى :﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إد يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ الفتح١٨ .

٤_ امراة نوح وامراة لوط تحتهما في قوله تعالى :﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما** ﴾ التحريم١٠ .

٥ _ السريّ تحت مريم في قوله تعالى:﴿ **فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا**﴾ مريم ٢٤ .

٦_ ما تحت الترى في قوله تعالى:﴿ **له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الترى**﴾ طه٦ .

ويفهم من هذه الايات ان ركني هذا النمط جاءا (جثتين) اما من الاحياء كالرجل وامراته او من الجمادات كالجدار والكنز او جاء احدهما جامدا والاخر حيا كالشجرة والمؤمنين . وكل هذا الاختلاف في تعدد نوع المسميين لا يضرّ في تحقق مدلول (تحت)، ولكن الشيء المهم الذي ينبغي توافره كي يتحقق مبدا (التحتية) في هذا النمط هو تلازم الاسمين (الجثتين) بلا فاصل والتصاقهما بلا حاجز واستقرار احدهما تحت الاخر استقرارا تاما لا انفلات منه ولا مناورة له وكل دلك لمدة معلومة من الزمن وهذا هو المفهوم من وجود الكنز تحت الجدار والضالين تحت الاقدام ومعادن الارض او صخورها تحت الترى . اما مبايعة المؤمنين تحت الشجرة فليست خارجة عن معنى (الاستقرار اللازم المؤقت) دلك ان المطلوب التصاق بعض المؤمنين وتواجدهم فعلا تحت الشجرة او استقرارهم تحت ظلها. وبعض الشيء يدل على جنسه وليس المراد ان جميع المؤمنين على كثرة عددهم الذي يربو على الف وخمسمائة انداك[٢] كانوا محشورين تحت الشجرة وربما كان الاستقرار الاني حاصلا تحتها فعلا من قبيل مجيء كل واحد منهم إلى شخص الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في دلك المكان (تحت الشجرة) كي يبايع ومن عادة العرب في المبايعة ان يصفقوا اليد باليد وحينئذ يكون

مبدا التحتية قد تحقق فعلا مع جميع المؤمنين الذين توافدوا إلى (تحت الشجرة) للبيعة فقد نقل المفسرون ان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كان جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن منها[٣] . ومما يعضد هذا التصور ان جملة (تحت) وردت مقرونة بالجملة الفعلية (يبايعونك) وهي جملة فعلية فعلها مضارع تفيد الدلالة على التجدد والدوام على الفعل حتى الفراغ منه ، اي انّ المبايعة استمرت بالتتابع تحت الشجرة حيث مجلس الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وليس المقصود اجتماع المؤمنين في ذلك المكان فحسب لان اجتماعهم (تحت الشجرة) جميعا متعذر، اما البيعة فقد حصلت من لدن كل مؤمن تحت الشجرة . اما تحتية امراتي نوح ولوط وهي (الاستقرار اللازم المؤقت) فمتحققه فعلا من باب المجاز لانها تعني القوامة والنفقة فضلا عن الوطء . ومن لطيف التعبير القراني ان سمّى ما تحت نوح ولوط بعد الخيانة (امراة) ولم يسمهما (زوجة) ذلك ان القران يستعمل الزوجة في موضع التوادد والمحبة ويستعمل المراة في موضع البغض والنفور او (فتور الشعور) بين الاثنين[٤]. اما (سريّا) الذي تحت مريم فقد اختلف العلماء في مدلوله فذهب اكثرهم إلى انه جدول[٥] جعله الله تحتها كي تشرب منه وتاكل من فوقها بهزّ النخلة ولذا خاطبها بعد حين فقال ﴿ **فكلي واشربي وقري عينا** ﴾ فجمع لها الشرب من الجدول والاكل من الرطب . وقال بعضهم : السريّ هو عيسى[٦] . ومدلول اللفظ (تحت) الذي قدمنا له في هذا النمط على انه يفيد التلازم والالتصاق والاستقرار المؤقت يعضد الراي الثاني القائل : إنّ السريّ هو عيسى عليه السلام لا الجدول ذلك ان الجدول والماء والانهار وردت في سياق جملة (تحت) المجرورة بمن كما سياتي ولم يستعمل الماء تحت الشيء إلا بالتركيب (من تحت) فهذا دليل على ان السريّ ليس الماء هذا من جانب ومن جانب اخر ان مريم

المصطفاة على نساء العالمين لا يعقل ان يكون حزنها لمجرد طلب الطعام كي تأتيها البشرى بالماء والرطب وحدهما لتقرّ بهما عينا ولا تحزن بل المفهوم من قصة مريم ان حزنها كان لخوفها من الفضيحة وقد قدمت لهذا بقولها **ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا** وليس تمنيها الموت بسبب نقص المؤونة والحاجة إلى الطعام قال تعالى : **فاجاءها المخاض إلى جذع النخله قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخله تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر احدا فقولي إني ندرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم إنسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا فاشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا** مريم ٢٣- ٢٩ . ومما يقوّي هذا الراي ان السياق يكشف ان قرّة عين مريم ما تحققت بالماء والشراب بل بالنداء الصادر من تحتها معجزة تعصمها من السنة الناس وتدافع عنها حين يجتمع حولها اهلها وابناء بلدتها الذين ما عرفوا عنها إلا الخير ولن يصدقوا ما جرى لها من الإنجاب دون رجل وقد اشارت مريم إلى عيسى لما حضرت بين قومها فهذا يدل على انها كانت تعلم من شان وليدها المعجز انه يتكلم فجاءت به إلى قومها مطمئنة من براءتها ومستبشرة بمعجزتها ولو فسّر السريّ بالجدول لما وجد في السياق ما يبشر مريم بالمعجزة (كلام الرضيع) ومن ثم لا يتحقق لمريم قرة العين مقرونة بالاكل والشراب ، ومن طبائع البشر ان الخائف الوجس من المجهول لا يزيح الطعام عنه خوفا ولا يدفع عنه فزعا ولكن لو اطمانت النفس جاءت إلى طعامها قريرة العين ساكنة الفؤاد .

إن (الجثة) السفلى في هذا النمط ليست ملازمة لمكانها (تحت) ملازمة ابدية او دائمية بل سوف تتفلت من هذه التحتية بعد حقبة معلومة كما هو شان الكنز تحت الجدار والمؤمنين تحت الشجرة والمراة الخائنة تحت زوجها والسري تحت مريم والضالين تحت الاقدام . واما ما تحت الترى من كنوز الارض فعلى الرغم من ان العلائق تشير إلى ان المالك هو الله عز وجل لأنه له ما تحت الترى جاء خلو (تحت) من حرف الجر (من) بملمح دلالي معجز يشير إلى ان ما تحت الترى لا يبقى ابدا تحته فقد يتدخل الإنسان في قلب هذه المعادلة وذلك باستخراج المعادن من باطن الارض او قد تتدخل الطبيعة نفسها كما في البراكين والينابيع والزلازل ولا يضر ذلك في هيمنة الباري تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا لانه وحده له ما في السمرات وما في الارض وسواء اخرجت الارض ما في جوفها او خرج ما فيها بفعل فاعل يبقى الملك جميعا لله . ولذا يمكن القول : إن ما يترتب على هذه التحتية(المؤقتة) من احكام بزول بزوالها وينتفي باندثارها فرضوان الله متلا على المؤمنين المبايعين تحت الشجرة كان مقرونا بتلك الحال التي عليها المؤمنون اي وجودهم تحت الشجرة للبيعة ومن التزم بالبيعة ومبادئها في قابل ايامه لازمه الرضوان الإلهي ومن احدث بعد ذلك فلا تعصمه تلك البيعة من سخط الله والدليل على ان رضا الله كان انيا مرتبطا بتلك الحادثة هو تصدر الجملة التفسيرية بعد الرضوان (إذ يبايعونك) بالظرف (إذ) الذي يفيد الدلالة على الازمنة المختلفة[٧]. بحسب نوع الفعل بعده فإن كان ما بعده ماضيا كان اسما للزمن الماضي وإن اتصل بـ(يوم) في التركيب (يومئذ) ووليه فعل مضارع دل على الاستقبال وإن دخل على مضارع وكان هو مجردا خلص للدلالة على استيعاب ذلك الفعل المعلوم لحظة حدوثه كما في (إذ يبايعونك) وقد يقترن هذا المدلول بالتعليل ايضا فيكون المعنى إن

الرضوان حاصل في ذلك الزمان بسبب البيعة تحت الشجرة فإن عدم المسبب (البيعة) عدم السبب (الرضوان) .

الاخر : الفعل وعلاقته + من + تحت + اسم .

ورد الظرف تحت مجرورا بمن في خمسة واربعين موضعا من التنزيل العزيز وفي جميع هذه المواضع لم يرد ما كان تحت (جثة) وإنما جاء في الغالب فعلا صادرا من فاعل ظاهر او معلوم واحيانا يكون مقرونا بالمفعول او بالمتعلق (الجار والمجرور) ويكون هذا الفعل احيانا صادرا من مادة (جريان الانهار واكل الطعام) او معنى احيانا اخرى مثل النداء والعذاب في حين بقي الاسم الاعلى جثة ملموسة وكما ياتي :

١_ جريان الانهار + من + تحت + جنات .

وردت الانهار جارية (من تحت) الجنات في خمسة وثلاثين موضعا من التنزيل العزيز كقوله تعالى: ﴿ **وبشر الذي امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار**﴾ البقرة ٢٥ وقوله تعالى : ﴿ **ايود احدكم ان تكون له جنه من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار**﴾ البقرة ٢٦٦ ، وقوله تعالى: ﴿ **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار** ﴾ ال عمران ١٥. وهنا يشير التركيب (من تحت) إلى المكان الذي ابتدا منه الجريان وهو في العادة (تحت) ثم انتشار ذلك الجريان وامتداده إلى ما شاء الله ، إي ان تحت إن جرت بمن فإن الاسم الاسفل سيكون مكان انبثاقه معلوما فضلا عن الإشارة إلى امتداده في الـ(تحت) ليشمل مجالا اوسع وسبيلا ارحب . والجنة هي البستان من النخل والشجر المتكاثف الظل بالتفاف اغصانه وتشابكها بعضها على بعض وإنما سميت الجنة جنة لانها تستر ما تحتها بظلها، واما تنكيرها وجمعها ففيه إشارة إلى ان الجنان كثيرة مرتبة ترتيبا يراعي استحقاق اهلها لها اما تعريف الانهار تحتها فهو يفيد احد شيئين :اما

التقليل لان ما كان معروفا محاطا بخبره كان قليلا وإن كثر عدده لان إحصاءه حاصل فعلا او انّ التعريف يفيد الجنس فيكون المعنى جنات يجري من تحتها الماء(٨).

وإنما كانت الانهار جارية من تحت باستعمال حرف الجر من لان الجنات التي فوقها تنبت كما تنبت الاشجار فوق شواطئ الانهار فالمقصود من التركيب (من تحت) خلال الاشجار وليس تحتها مباشرة بصورة ملاصقة وملازمة كما كان الامر في النمط الاول وقد يكون المراد فضلا عن دلك هو إن مكان صدور الانهار من تحت إحدى الجنات ثم يجري خلالها فيخرج من جنة ويدخل في اخرى . وقد اختيرت الانهار مع الجنات في ترغيب المؤمنين بها لان الماء مصدر كل الحياة فالاشجار بلا ماء كالصور والتماثيل التي لا روح فيها . وجاءت الانهار جارية في موضع واحد (تحت الجنات) ودلك في سورة التوبة في قوله تعالى : **والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والدين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا دلك الفوز العظيم** التوبه ١٠٠ ، ليقود حذف حرف الجر (من) إلى ملمح اسلوبي معجز دلك ان الفائزين بالجنات في هذه الاية هم السابقون الاولون منذ الخليقة حتى البعث او منذ الإسلام حتى البعث وهم لا شك كثر ويمثلون صفوة البشرية وقد اعد الله لهم جنات كثيرة متجاورة مرتبة في المنزلة كل حسب استحقاقه وعلى الرغم من جريان الانهار تبقى ملازمة تحت الجنان ولا تتجاوزها لان الجنات كثيرة ككثرة الخالدين فيها والانهار مهما استطال جريانها وكثر عددها وتفرعت اوديتها لا تخرج عن هذه التحتيّة لفرط امتداد الجنات ولو قيل (من تحتها) لفهم منه ان الانهار قد تنبع فتجري من تحت الجنان ثم تخرج منها ولا تستقر تحتها فتقل الفائدة منها ولكن قيل (تحتها) إشارة إلى

معنى النبع والجريان فضلا عن الملازمة ولاجل إضفاء صفة الدوام على هذه التحتية الجميلة اللائقة بالفائزين بالجنة عقب بـ(**خالدين فيها ابدا**) كي تؤكد هذه القرينة اللفظية معنى الاستقرار واللزوم في تحت ولو لم تكن هذه القرينة لكان الاستقرار انيا مؤقتا على وفق ما تقدم من مدلول (تحت) وحدها في النمط الاول كاستقرار الكنز تحت الجدار والمؤمنين تحت الشجرة.

لقد جاءت الانهار في هذا النمط (من تحت) ثلاث اسماء (جثث) اخرى غير الجنات وهي :

ا_(الناس) في اربع مواضع منها قوله تعالى **وجعلنا الانهار تجري من تحتهم** الانعام ٦.

ب_(فرعون) في قوله تعالى **ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي** الزخرف ٥١.

ج_ (الغرف) في الجنة في قوله تعالى : **لنبوئنهم من الجنه غرفا تجري من تحتها الانهار** العنكبوت٥٨.

وجريان الانهار من تحت هذه الجثث الثلاث مشبه لجريانه تحت الجنات من حيث الإشارة إلى مكان صدوره التحتي وعدم تقييد جريانه بمكان وعدم ملاصقته وملازمته للجثة التي فوقه.فلا يعقل ان تكون الانهار ملاصقة للغرف وكذا لا يعقل التصاق الانهار بالناس وفرعون فهذا يقود إلى غرقهم وإنما المقصود بالتحتيه هنا هو التخلل والقرب والإشراف على مصدر الماء الممتد في التحتية امتدادا قريبا إليهم حيثما ارتحلوا منقادا إليهم متى ما طلبوه .ولذا قيل في تفسير جريان الانهار تحت فرعون بانها تجري تحت قصره اوتحت سريره لارتفاعه او بين يديه في جنانه وبساتينه[٩] .

٢_ اكل الطعام من تحت الارجل ، في قوله تعالى ﴿**ولو انهم اقاموا التوراة والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم**﴾ المائدة ٦٦ .

وهنا الاكل الذي تحت الارجل هو طعام ممتد لم يحصره التركيب (من تحت) بمكان محدد كما كان الكنز محصورا في مكانه (تحت الجدار) وإنما الطعام منتشر في التحتية ومتوافر تحت الارجل اينما حلت وحيثما ارتحلت لان التركيب (من تحت) يفيد ابتداء الغاية المكانية ولا يشير إلى انتهائها .اما كيف يكون الاكل من فوق ومن تحت في الوقت نفسه فقد وجه بخمسة اوجه هي[١٠] :

_ان يفيض عليهم مطر السماء ونبات الارض .

_ ان ينعم عليهم من رزق الجنة ورزق الدنيا .

_ ان يكثر الاشجار المثمرة فوقهم والزروع المغلة تحتهم .

_ ان ياخذوا ما ياتيهم من ملوكهم وما ياتيهم من عوامهم .

_ ان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون الثمر المتهدل من رؤوس الشجر ويلتقطون الثمر المتساقط على الارض .

وواضح من السياق ان الوجه الثالث اقرب ما يكون إلى معنى الاية لان اقتران الظرفين (فوق ، تحت) بـ (من) يومئ إلى بركات الارض من اشجار شامخة بثمارها وزروع مغلة بحبها .

٣_ بعث العذاب + من + تحت + الارجل ، في قوله تعالى ﴿ **قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم** ﴾ الانعام ٦٥ . وفي قوله تعالى ﴿ **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم** ﴾ العنكبوت ٥٥ . وقد تشعبت اقوال المفسرين في توجيه مجيء العذاب من فوق ومن تحت في الوقت نفسه فاكثرهم على ان ذلك سيحصل بالحجارة من فوق كعذاب قوم

لوط واصحاب الفيل والغرق من تحت كطوفان قوم نوح وقال بعضهم : كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل عبيدكم وسفلتكم[١١] .ومدلول (تحت) الدقيق يأبى ان يكون المقصود بها في هاتين الايتين العبيد او سفلة القوم ولدا يكون تفسيرها بخسف الارض او الغرق هو الراجح والقرينة اللفظية (يغشاهم) ترجح ان يكون العذاب من تحت خسفا او غرقا لان فيهما الإغشاء ايضا فهو حاصل من تحت كحصوله من فوق .

٤_ نداء عيسى من تحت مريم . في قوله تعالى **فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا** ولاشك ان جر (تحت) الاولى بـ (من) في هذه الاية وترك الثانية من دون جر يشعر بان التركيبين مختلفان فالجملة الاولى (فناداها من تحتها) جرت فيها (تحت) بمن لان النداء معنى لا جثة ولدا لا يحصل التلازم والإلصاق كما حصل بين الجثتين في النمط الاول ثم إن النداء قد امتد وانتشر لانه المعجزة الإلهية التي ربطت على قلب مريم فكانت قرة عين لها في مكانها الشرقي بعد الولادة ثم كانت اية كبرى براتها امام قومها من البغي والسوء ، وهذا هو المفهوم من (ناداها) .اما (تحتك سريا) فقد سبقت الإشارة إلى ان معنى اللزوم الإلصاق قد تحقق بين الاثنين (عيسى وامه) وان تفسير السري بالجدول بعيد بالاعتماد على القرائن اللفظية والاستعمال القراني .

٥ _ الظلل من تحتهم ، في قوله تعالى **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون** الزمر١٦ ومعنى ظلل من النار : طبقات منها تظللهم [١٢] .وهنا لو كانت الظلل النارية ملاصقة من اسفلهم لاحترقت اجسادهم ولكن فهم من جر (تحت) بـ (من) عدم الاتصال بين الظلل النارية والاجساد اتصالا مباشرا وكذا فهم ان هذه

الظلل منتشرة ممتدة ما امتد الناس وانتشروا وتفرقوا ومشتقات الجذر (ظلل) تفيد التغشية والتغطية من الاعلى وهذا مفهوم عندما تكون الظلل من فوقهم اما كون الظلل من تحتهم فدليل على ان التركيب (من تحت) يفيد الدلالة على ابتداء الغاية المكانية ثم انتشارها إلى مكان لا حدود لـه وقد يكون هذا الانتشار افقيا وهو الغالب وقد يكون عموديا ليشكل (ظلل) كما في هذه الاية . ويبدو ان المقصود بالظلل التي من تحت هي البراكين التي يشكل دخانها وحممها المقذوف طبقات في السماء والظلل التي من فوق هي الصواعق وهذه ممتدة على مدى الارض من فوق ومن تحت ولا تتصل بالناس اتصالا مباشر إلا ما ندر او ربما يكون المراد من الظلل اشعة الشمس المحيطة بجرم الارض من كل الجوانب فضلا عن (فوقهم وتحتهم) وقد جاءت القرينة اللفظية ابتداء (لهم) لتربط على القلوب من ان تلك الظلل النارية خيرها اكثر من شرها وخيرها يتمثل بانها عبرة ونذير وتذكرة ولو اريد الشر منها لقيل (عليهم) وجاءت القرينة اللفظية (يخوف) لتبين سبب وجود هذه الظلل تحت الناس من دون اتصال مباشر بهم وهو إظهار مسبب الخوف لهم شيئا فشيئا لعلهم يتقون وذلك من لطف الله بالعباد ولو شاء لاخذهم اخذ عزيز مقتدر كلمح البصر او هو اسرع فسبحان الذي جعل الظلل من النار (من فوقنا ومن تحتنا) ولم يجعلها (فوقنا وتحتنا) ، وجاء تكرار الظلل في سياق الاية بالعطف ليوحي إلى إن الظلل التي من فوقهم غير الظلل التي من تحتهم ولو لم تكرر الظلل لعلم انها واحدة .

ب : اسفل _ سفلى

(اسفل) ظرف مكان تقترب دلالته كثيرا من (تحت) ولكنهما مختلفان في القران الكريم من حيث إن الاستعمال القراني للظرف تحت لا يفصح عن إن ما كان اعلى مهيمن على ما كان اسفل ومسيطر عليه وقاهر له ولا يفصح

عن إن ما كان (تحت) كان دليلا حقيرا فلا الشجرة مهيمنة على المبايعين ولا الكنز احقر من الجدار وهنا يظهر الفرق بين (تحت) و (اسفل) دلك ان ما كان اسفل كان هابطا مغلوبا وهذا هو مدلوله في الموارد القرانية العشرة التي ورد فيها إذ دلّ فيها على هبوط (العاقلين) كقوله تعالى: **ثم رددناه اسفل سافلين** التين ٥ او هبوط افعالهم كقوله تعالى: **وجعل كلمه الدين كفروا السفلى** التوبه ٤٠ او هبوط منازلهم كقوله تعالى : **إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار** النساء ١٤٥ وهذا النوع من الهبوط يكون مشوبا بالدلة والاحتقار والإهانة والقهر والبطش ومدلوله في التنزيل بعكس مدلول العلو(١٣) . قال تعالى : **فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها** هود ٨٢ ولا شك ان في العلو سموا ورفعة وفي نقيضه (اسفل) إذلالا وضعة . ولذا كان مجيء الاحزاب في معركة الخندق من (اسفل) في قوله تعالى **إذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم** الاحزاب ١٠ ولم يكن المجيء (من تحت) على الرغم من ان السياق يستدعي (من تحت) لا (من اسفل) لوجود (من فوق) قبلها ودلك ان في المنزله (اسفل) تحقيرا وإهانة للاحزاب وهي حاصلة بعد ان كفى الله المؤمنين القتال بسيف علي (عليه السلام) والجنود التي لم يروها والريح الصرصر(١٤) ووجه التحقير باستعمال اللفظ اسفل انه لفظ دل على مبالغة في الهبوط والارتكاس والسفل كونه على بناء افعل التفضيل التي يستدعي تركيبها اشتراك اسمين في الفعل وغلبة احدهما فيه وفي هذه الاية يتبين ان المسلمين كانوا في منزل وسط سفح الجبل بين العلو الهبوط فهم تحت بالمقارنة مع الذين جاؤوهم من فوق الجبل واعلى بالمقارنة مع الذين جاؤوهم من اسفل الجبل ولما اشترك منزل المسلمين ومنزل الاحزاب القادمين(من اسفل منكم) صلحت المفاضلة في السفل بين المنزلتين وهي مفاضلة افضت من جانب إلى تحديد دقيق لمنزل المسلمين وهو سفل غير

مبالغ فيه ومن جانب اخر فضحت المفاضلة مكانة الاحزاب فوسمتهم بالسفل المبالغ فيه وهدا تحقير لشانهم لفظا فضلا عن الواقع. ومثل هذا قوله تعالى في مشهد من معركة بدر **إذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم** الانفال٤٢. فقد نقل المفسرون ان المقصود بالركب هم الاربعون الذين كانوا يقودون قافلة قريش وهم بقيادة ابي سفيان(١٥). فلا غرو إذا من ان يخبر عنهم بـ(اسفل منكم) بغية تحقير شانهم وضعف مركزهم في اعين المسلمين الذين كانوا وجسين من حرب قريش بقضها وقضيضها . ومن هنا يمكن القول : إن المدلول اللغوي للفظ (اسفل) يدل في اصل وضعه على الإهانة والتحقير ولو مجازا واما (تحت) فإن مدلولها اللغوي لا يقود إلى تلمس مثل تلك الدلالة ويمكن القول : إن العلاقة ما بين (تحت واسفل) هي ان اسفل مبالغة لـ(تحت) دلك إن اسفل لفظ جاء على بناء (افعل) وهو بناء اصلي في المفاضلة بين اثنين في فعل معين وغلبة احدهما الاخر في دلك الفعل ومادام التسابق والتفاضل في تركيب (اسـفل) مخصوصا بالسفل والارتكاس كان الغالب (الفاضل) اكثر إهانة واشد تحقيرا من المفضول فقوله تعالى : **كلمه الدين كفروا السفلى** التوبه ٤٠ يستدعي وجود كلام سافل كثير لكن كلمة الذين كفروا اكثر سفلا منه و(السفلى) تانيث اسفل، وقوله تعالى :**الركب اسفل منكم** الانفال ٤٢ يومئ إلى ان ثمة قوما مقيمين في منزل مستفل وهم المسلمون لانهم في:**العدوة الدنيا** لكن ركب ابي سفيان في منزل اكثر سفلا وإنما لم ينعت منزل المسلمين بالعدوة السفلى إذ العدوة الدنيا اسفل العدوة القصوى ودلك ان(اسفل) تحقير في اصل وضعه فاقترن بركب ابي سفيان ولم يقترن بالمسلمين وهذا هو وجه الفرق الرئيس بين (تحت) و (ادنى _ دنيا) من جهة وبين (اسفل) من جهة اخرى ولدا كان لا بد من وجود القرائن اللفظية في سياق (تحت) إذا ما اريد تحقير الاسم الثاني

في جملتها مثل (الاقدام) و(يكونا من الاسفلين) كما في إدلال الضـــالين فـي قوله تعالى:﴿ **ارنا اللذين اضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحــت اقــدامنا ليكونا من الاسفلين**﴾ فصـلت٢٩. وعلى وفق هذا المدلول الدقيق للاسم تحــت يمكن حسم الخلاف في معنى التحوت في قول الرسول: (صــلى الله عليــه وسلم) : << **لا تقوم الساعه حتى تظهر التحوت ويهلك الوعــول** >>[١٦] . فقد فسر اللغويون[١٧] الوعول بالاقوياء والجبابرة اما التحوت فذكروا له ثلاثة اوجه :

_ التحوت هم الارادل السفلة الذين كانوا تحت اقدام الناس لحقارتهم والمعنى لا تقوم الساعة حتى يرتفع الحقير ويوضع القويّ العزيز .

_ التحوت هي الكنوز التي تحت الارض والمعنى لا تقوم الساعة حتى تظهر الكنوز ويهلك الجبابرة .

_ التحوت هم الضعفاء والفقراء من الناس والمعنى لا تقوم الساعة حتى يستغني الفقير ويهلك الغنيّ .

وواضح من سياق الحديث ان معنى التحوت على النقــيض مــن معنــى الوعول لوجود المقابلة بين (يظهر ويهلك) قبلهما فعلى هذا يكــون الوجــه الثاني الذي يفسر التحوت بالكنوز ضعيفا لان السياق ياباه وإن كان لــه مــا يعضده في القران الكريم وهو قوله تعالى :﴿ **واخرجــت الارض اثقالهــا**﴾ الزلزله ٢ .اما تفسير التحوت بالسفلة والارادل والحقراء فبعيد جــدا بــل فيــه تعسف وتمحل وإلغاء للتفويض الإلهي لان الظاهر من التسليم بهذا يقود إلى ان هؤلاء التحوت مجبولون على الضعة والحقارة راضــون بهــا وعنــدما ظهروا على الجبابرة الاقوياء كان ذلك ظلما وعدوانا والامر ليس كذلك ثــم إن تفسير التحوت بالحقراء والارادل لا يلائم الروايات التي تشــير إلــى ان الارض ستملا ظلما وجورا قبل دولة الإمام المنتظر وستملا عدلا وقسطا في

دولته ذلك ان ظهور الارادل الحقراء على الجبابرة قبل دولة المهدي ليس ظلما بل هو من باب إزاحة الظلم واما في دولة الإمام المهدي فلا مكان للجبابرة اصلا ومن ثم يكون تفسير التحوت بالارادل والحقراء غير موجه ولا يناسب مقام اصحاب الإمام عجل الله فرجه الشريف . فعلى هذا لم يبق إلا تفسير التحوت بالضعفاء وتفسير الوعول بالاغنياء وهذا ملائم لاحاديث اشراط الساعة ودولة المهدي لان ظهور الفقراء واختفاء الاغنياء لهو قمة العدل والقسط وتفسير التحوت بالضعفاء والفقراء مناسب للتعبير القراني الذي ثبت فيه ان مدلول تحت وما يشتق منها هو منزلة لا ضعة فيها ولا مغمز لصاحبها من لدن ذوي الالباب الذين لا يرون في الفقر عيبا وحقارة .

ج : دون

دون في كلام العرب ظرف مكان حقيقة او مجازا ولا يتصرف فيه بغير من[١٨] وقد ورد في الظاهر من كلام العرب بمدلول مناقض لفوق ودلك حين يقابله في السياق كقول الإمام علي (عليه السلام) لأحدهم وقد راءه بالتناء عليه : (**انا دون هدا وفوق ما في نفسك**)[١٩]. واما في القران فقد ورد الظرف (دون) في مئة واربعة واربعين موردا من القران الكريم في جميعها جاء ملازما للإضافة اما إلى الظاهر او إلى الضمير ، في تسعة موارد منها جاء ظرفا مبنيا على الفتح وفي المواضع الاخرى ورد مجرورا بمن ووجه اقتراب مدلول(دون) من (تحت) انهما متشابهان من اربعة جوانب :

_ كونهما يلازمان الإضافة لا ينفلتان منها في القران .

_ كونهما يأتيان ظرفين مبنيين قليلا .

_ كونهما يأتيان مجرورين بمن كثيرا .

_ كون المفهوم من تركيبهما وجود اسمين احدهما مستعل والاخر مستفل .

وفي نوع العلاقة بين هذين الاسمين وطبيعة الاتصال بينهما ينماز (تحت) من (دون) فمع استعمال (دون) تكون العلاقة الاصلية الحقيقية المحسوسة بين الاسمين افقيه لا عموديه ولا اتصال مباشر بين الاسمين في تركيب(دون) وليس الاسم المستعلي مهيمنا على المستفلي مغطيا إياه بدل المطلوب في جملة (دون) العكس وهو ان يغطي المستفلي على المستعلي نحو (الستر من دون الشمس) في قوله تعالى في مشهد من قصة ذي القرنين :﴿ **حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا**﴾الكهف ٩٠ وكذا الحجاب دون اهل مريم في قوله تعالى :﴿ **فاتخذت من دونهم حجابا**﴾ مريم ١٧ اي إن ما قبل دون يستر ما بعدها ويحجبه عن الحواس او الإدراك حجبا حقيقيا او مجازيا تاما او جزئيا ومن جانب اخر يلحظ وجود اسم قائم بالامر او متصف به او مالك له يتحكم بطرفي العلاقة في تركيب (دون) فيجعل احدهما دون الاخر ولا بد من وجود هذا الاسم في تركيب(دون) وغالبا ما يكون فاعلا لفظا او معنى على حين يجوز الاستغناء عنه في تركيب تحت ولا يسال عنه في حال حذفه ودلك للعلم به او لانه مفهوم واضح فلم يسال المفسرون عمّن وضع الكنز تحت الجدار؟ ومن الذي امر المسلمين بالبيعة تحت الشجرة؟ لكن هذا الاسم هو الاول في الرتبة المستحصلة من مدلول جملة (دون) وياتي بعده المستفلي ثم المستعلي ،اي ان الرتبة في جملة (دون) تكون على وفق ما ياتي :

الفاعل لفظا او معنى + دون + اسم مستعل وهو ملازم الإضافة إلى دون .

والتطبيق على هذه الرتبة مطرد في جميع الموارد في القران الكريم نحو :

_ مريم تتخذ الحجاب دون اهلها﴿ **فاتخذت من دونهم حجابا**﴾ مريم ١٧ .

_ الله يجعل الستر دون الشمس ﴿ **لم نجعل لهم من دونها سترا**﴾ الكهف٩٠

_ موسى يجد امراتين دون الناس **ولما ورد ماء مدين وجد عليه امه من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تدودان** القصص٢٣ .

_ الخائف مقام ربه له جنتان دون جنتين **ولمن خاف مقام ربه جنتان ... من دونهما جنتان** الرحمن٤٦---٦٢.

_ ذو القرنين يجد قوما دون السدين **حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا** الكهف ٩٣.

_ الكافرون يتخذون الهة دون الله **قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا** المائدة ٧٦.

وعند النظر في اقوال العلماء في تفسير الايات التي ورد فيها دون يتبين ان (دون) لديهم من المشترك اللفظي وإن لم يصرحوا بذلك إذ تشعبت المعاني التي فسروا بها دون وفي كل اية يذكرون معنى يختلف عنه في اية اخرى ومما ذكروه من معاني دون : تحت ، غير ، احقر ، ادنى ، اقرب . قال الزمخشري في تفسيرقوله تعالى :**وادعوا شهداءكم من دون الله** البقرة ٢٣ : << معنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودوّن الكتب إذا جمعها لان جمع الاشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك إذا كان احبط منه قليلا ، ويقال دونك هذا واصله خده من دونك اي من مكان ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمر في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راءه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم قال تعالى:**لا يتخد المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** اي لا يتجاوزا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين [٢٠].

وعلق الشريف الجرجاني قائلا :<< معنى دون هو في اصله للتفاوت في الامكنة يقال لمن هو انزل مكانا من الاخر هو دون ذاك فهو ظرف مكان مثل عند إلا انه ينبئ عن دنو اكثر وانحطاط قليل>>[٢١] .

وقال ابو حيان في تفسير **من دون الناس** البقرة ٩٤ :<< دون هنا لفظ يستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول هذا ولي دونك وانت تريد لاحق لك فيه معي ولانصيب وفي غير هذا المكان ياتي لمعنى الانتقاص في المنزلة او المكان او المقدار >>[٢٢] . وعلى العموم يلاحظ من اقوال المفسرين الاتي :

_ دون يشتمل على معنى الدنو لتوافقهما في الحروف الاصول وإن تخالفا في ترتيبهما وليس احدهما قلبا للاخر لاستوائهما في التصرف وكذلك جميع ما اخذ منه يشتمل على معنى الدنو وهو حقيقي كدون الكتب واما في المجاز كالدون بمعنى الحقير فمن باب التطور الدلالي الذي يستدعي في احد جوانبه هبوط الدلالة ومن هنا قيل : إن الدنو شاع استعماله في الحقارة ، وإن دون يستعمل في انحطاط محسوس فهذا اول توسع فيه .

_ استعمال دون بمعنى ادنى مكان اعني المكان الحقيقي الاصلي من باب ان (ادنى) مبالغة لدون وهما مثل ساحر وسحار في قوله تعالى: **ياتونك بكل ساحر عليم** الاعراف ١٢٢و **ياتونك بكل سحار عليم** الشعراء٣٧. وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى: **ولنديقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر** السجدة٢١ ولذا لا يعقل تفسير دون بادنى .

_ استعارة دون للتفاوت في المراتب المعنوية إنما جاء من باب التشبيه بالمراتب المحسوسة وشاع استعماله فيها اكثر من استعماله في الاصل ثم اتسع في هذا المستعار فاستعمل في كل تجاوز حد على حد وإن لم يكن هناك تفاوت او انحطاط فهو في المعنى مجاز وهو بهذا المعنى قريب من ان يكون بمعنى غير كانه اداة استثناء .

ومن خلال النظرفي التعبير القراني يمكن القـول إن المدلـول الرئيس لـ (دون) هو ان يحجز الشيء المستقلي القريب شيئا اكبر منه واعلـى منـه وابعد عن الحس او الإدراك وهذا معنى اصيل في التراكيـب الحقيقيـة : كالحجاب دون اهل مريم والستر دون الشمس وفرع في التراكيب المجازيـة كالمراتين دون القوم والجنتين دون الجنتين والعباد دون الله والهة دون الله .

ولما كان الستر اوالحجب مستلزما القرب من الشيء المستور والدنو منه فسرت دون باقرب وادنى من هذا الجانب وهو تفسير مقبول ولكنه لا يلغـي التفسير الاصلي وهو حجب ما بعدها والتعمية عليه وتغطيته والذي ساعد في دلالة دون على القرب ان المعنى الرئيس للدنو (مقلوب دون) هو القرب وقد اشار ابن جني منذ زمن بعيد إلى هذه الظاهرة وسـماها الاشـتقاق الكبيـر وعرفها بان تاخذ اصلا وتعقد عليه وعلى تقليباته الست معنى جامعـا فـإن خرج احد تلك التقليبات عن ذلك المعنى رد إليه بلطـف الصـنعة وحسـن التاويل وضرب له امثلة كثيرة دلت تقليباتها المستعملة على معنى جامع [٢٣] . واما دلالة دون على التحقير فلم يرد عليها مثال في التنزيل العزيز ولكنـه استعمال شائع في كلام العرب واللهجات العربية لا سـيما العراقيـة التـي استعملت النسبة إلى دون للدلالة على التحقير والإهانة وهو استعمال غاية في المجاز إذ ان دون دلت على القرب وهو الدلالة الجانبية لها تـم خصصـت بالدلالة على القريب من الارض الملازم لمكانه فيها فكانه في مكان وضـيع محبط لا يجاوزه إلى ما هو ارقى منه تم هبطت دلالة اللفظة فصارت تعني الحقير والخسيس في اللهجة العراقية وليست هذه الدلالة ظاهرة فـي اصـل وضع اللفظة وربما ساعد قربها في الاشتقاق من الدناءة على قبول مـدلولها الهابط .

وصفوة القول في مدلول دون ان ما قبلها يحجز مابعدها على الرغم من انّ ما قبلها اقل شانا مما بعدها وهذا الستر قد يكون حقيقيا او مجازيا وقد يكون امتداد الركنين في تركيب(دون) افقيا او عموديا لكن الامتداد الافقي لهما هو الاصل واما العمودي فمن باب المجاز . وعلى وفق هذا يمكن حسم الخلاف في توجيه كثير من الموارد التي وردت فيها دون في القران الكريم ، ويكفي الإشارة إلى اقوال العلماء في قوله تعالى: **ولمن خاف مقام ربه جنتان ..... ومن دونهما جنتان** الرحمن ٤٦و٦٢ . قال النحاس : في معناه قولان : احدهما من دونهما في الدرج والقول الاخر ومن دونهما في الفضل [٢٤] . وقد راى المفسرون[٢٥] ان الجنتين المذكورتين ابتداء في **ولمن خاف مقام ربه جنتان** هما اهم من اللتين ذكرتا لاحقا **من دونهما جنتان** لان الجنتين الاوليين (دواتا افنان ، فيهما عينان تجريان ، فيهما من كل فاكهة زوجان ، متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، كانهن الياقوت والمرجان) واما اللتان من دونهما فهما (مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان ، فيهما فاكهة ونخل ورمان ، فيهن خيرات حسان حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) وانت ترى ان رؤية الاغصان المتدلية عن قرب اجمل في عين الرائي من النظر البعيد إلى لون الدهمة والسواد ، وان جريان الماء خير من نضوخه وان الفاكهة المذكورة اولا مرادا بها الجنس كله ولذا لم يحتج إلى تعدد الاصناف في حين لم يقصد الجنس كله في المورد الثاني فاحتاج إلى ذكر النخل والرمان والفراش المذكور اولا وصف باطنه بالبهاء فكيف لا يكون ظاهره كذلك في حين اكتفي بوصف ظاهر الفراش في المورد الثاني وان الحسان في المورد الاول قاصرات الطرف بانفسهن ولذا وصفن بالياقوت

والمرجان واما في المورد الثاني فهن مقصورات في الخيام ولذا لم يوصفن بالجواهر النفيسة . وعندما نعود إلى قول النحاس المذكور انفا يمكن القول : إن(من دونهما) يعني الفضل والدرج معا لان وجود جنتين دون جنتين يعني ان اثنين منهما اقل شانا من الاخريين إذ المفهوم من ترتيب الاسماء في تركيب دون ان ما قبلها يكون سابقا لما بعدها لانه ساتر له وحاجب ومغط فكان المعنى ان الخائف مقام ربه له جنتان قريبتان فيهما من الفضل والخير ما يؤنسه ويهيئه إلى الانتقال التدريجي إلى الجنتين الاخريين الاكثر اهمية .

وقد سبقت الإشارة إلى اختلاف جملة (تحت) عن جملة (من تحت) ومثل هذا الختلاف يلحظ ايضا في القران الكريم بين (دون) و(من دون) دلك ان دون تفيد التدرج في تقريب الاسم المستفلي من منزلة الاسم المستعلي إلى درجة المساواة او الاتصال في نظر الفاعل كتقريب الالهة من الله في نظر المشركين في قوله تعالى:﴿**افكا الهه دون الله تريدون**﴾الصافات ٨٦ واقتراب الجن الفاسدين من منزلة الجن الصالحين لانهم في المملكة نفسها في قوله تعالى:﴿**وانا منا الصالحون ومنا دون دلك**﴾ الجن ١١ واما التركيب(من دون) فيفيد التدرج في التباعد بين منزلة الاسمين في نظر الفاعل إلى درجة الانقطاع التام بينهما وهذا هو حال الدعاة المتمسكين بـــ (شهداؤهم) زورا وجهلا مبتعدين عن طاعة الله في قوله تعالى : ﴿ **وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ البقرة ٢٣ وكذا حال المتخذين اندادا يحبونهم كحب الله في قوله تعالى:﴿ **ومن الناس من يتخد من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله**﴾ البقرة ١٦٥. وهذا هو حال مريم لما اتخدت الحجاب في قوله تعالى:﴿ **فاتخدت من دونهم حجابا**﴾ مريم١٧. وهذا حال موسى لما وجد المراتين في قوله تعالى:﴿ **ووجد من دونهم امراتين تدودان**﴾ القصص٢٣ والامتلة على هذا

الملمح الدلالي كثيرة ولا يخرج منها عنه مورد قراني والمقام يطول بسردها جميعا .

د : ادنى _ دنيا

ادنى ظرف يوحي ظاهره إلى اقتراب مدلوله من مدلول تحت لمجيئه دالا على منزلة تحت اخرى في السياق نفسه نحو ﴿ **ادنى الارض**﴾ الروم ٣ و﴿**عرض هدا الادنى**﴾ الاعراف ١٦٩ والظرف ادنى عند المفسرين يمكن ان يقال : إنه من الفاظ المشترك اللفظي وإن لم يصرح احد منهم بذلك ولكنه مدرك من اقوالهم التي تشعبت في تفسيره فقد فسر بـ(اقرب ، اخسّ ، اقل ، اصغر). فهو لديهم بمعنى اقل في قوله تعالى ﴿**إن ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه**﴾المزمل ٢٠ وبمعنى اخس واحط في قوله تعالى:﴿**اتستبدلون الدي هو ادنى بالدي هو خير**) البقرة ٦١ وقوله تعالى:﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخدون عرض هدا الادنى**﴾ الاعراف ١٦٩ وبمعنى اقرب في قوله تعالى :﴿ **ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى** ﴾ النجم ٩ وبمعنى اصغر في قوله تعالى:﴿ **ولنديقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر**﴾ السجدة٢١ واما من حيث الاشتقاق فهو عند اكثرهم افعل من الدنو بمعنى القرب وذهب بعضهم انه افعل من الدناءة بمعنى الخسة والرداءة وذهب بعضهم إلى انه افعل من الدون واصله ادون ثم قلب إلى ادنو ثم صار ادنى بوزن اقلع الان [٢٦] . ومن هنا يفهم تشتت اقوال المفسرين فيهـا إذ تعددت وجوه التفسير تبعا لتعدد وجوه الاشتقاق والقران يرجح ان ادنى افعل التفضيل من الدنو وهو القرب وهذا يكون حقيقيا في المحسوسات ومجازيا في المعنويات ومن استعمالها في المجاز قوله تعالى:﴿ **ولنديقنهم من العذاب الادنى**﴾ السجدة ٢١ وقد كثر الحذف في تركيب ادنى إذ يحذف بعدها المفعول به غير الصريح وهو المجرور بـ(إلى) ويحذف المفضل منه بعدها ايضا

كثيرا ويمكن ان يوضح تفسير ادنى باقرب بقولنا : (يوسف ادنى إلى ابيه من إخوته) ولكن لما حذف المتعلقين بعد ادنى قرب معناها من الإبهام ومالت دلالتها نحو الاشتراك اللفظي والمجاز وربما الهبوط وما هي بهابطة في القران الكريم وليست من المشترك اللفظي وإنما معناه الرئيس هو (اكثر دنوا) والدنو قد يكون مكانيا او زمانيا كما في : **ادنى لارض** و **ادنى من ثلثي الليل** وهنا يعلم ان (ادنى) ليست خالصة للمكان كما كانت (تحت) و(اسفل) . ولما كان (ادنى) افعل التفضيل فإن تفسيرها بمعنى الخسة والدناءة والحقارة بعيد بل منكر دلك ان افعل التفضيل تستدعي اشتراك اسمين في فعل او صفة ما وغلبة احد دينك الشيئين صاحبه في دلك اي ان تفسير ادنى باحقر او او اخس يقود إلى تحقير المفضل والمفضل منه معا لانهما مشتركان في الفعل او الصفة وهدا لا يرمي إليه عاقل والتسليم به يقود إلى تحقير كل الاسماء الواردة في سياق ادنى. اما تفسيرها باقل فمن باب المجاز دلك ان العذاب عندما ينعت بالادنى فإن دنوه لا يقاس بمقدار دقيق محسوس ولدا يفسر (ادنى) دو الدلالة المجازية باقل لان القلة لا تستدعي التحديد والدقة . ولدا يمكن القول : إن (ادنى) الوارد في اثني عشر موردا من التنزيل العزيز كلها دلت على معنى القرب بنوعيه (الحقيقي والمجازي) او (المكاني والزماني) وقد جاء(ادنى) بمعنى القرب المكاني في قوله تعالى **ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى** النجم ٩ وهنا يفهم اشتقاق ادنى من الدنو لمجيء دنا قبله لان المعنى هو دنوّ جبرائيل (عليه السلام) من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مسافة مقدارها اقرب من مقدار المسافة المقدرة بطول قوسين [٢٧].

وقداقتربت دلالة (ادنى) كثيرا من دلالة (تحت) في قوله تعالى : **وإد قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت**

الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير البقرة ٦١ فالطعام الواحد الذي هو خير كان قد انزله الله تبارك وتعالى من السماء وهو في وقوله تعالى:**وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى** البقرة ٥٧ والإنزال لا يكون إلا(من فوق) وسمي ما يخرج من الارض(ادنى) وهو بمعنى (تحت) بالقياس إلى مقابله (المن والسلوى) ولذا كان استبدالهم ما يخرج من الارض بما نزل من فوق منكرا لانهم رغبوا عن الفاضل المعجز (خير) ورغبوا في المفضول المعروف (ادنى) والمفضول في قوله تعالى :**قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير)** البقرة ٦١ اقرب إلى مداركهم وهو الزرع الذي يستدعي الجهد والعمل وهو مفضول بما كان منزلا من عند الله (المن والسلوى) فهذا فضلا عن كونه معجزة وتشريفا لهم لا يكلفهم جهدا ولا نصبا خلا ان مداركهم بعيدة عن إدراك مكنونه لانه ليس(ادنى) . وهنا يكون الشيء الادنى قريبا من محلين او موضعين لا يرتفع احدهما فوق الاخر ارتفاعا محسوسا كما كان الامر في تحت وإنما الارتفاع معنوي يتمثل بتفضيل احدهما على الاخر بمقدار قربه من ذلك (الشيء الادنى) بعد ان اشترك الموضعان بصفة القرب من ذلك الشيء وغلب احدهما صاحبه في الدنو منه فالمقصود بقوله تعالى في الإشارة إلى اية الدين :**ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى ان لا ترتابوا**البقرة ٢٨٢ : ذلك اقرب إلى انتفاء الريبة(الاطمئنان) من الريبة [٢٨] ، فالكتاب بين المتداينين يكون قريبا من الاطمئنان ومن الريبة ولكنه إلى الاطمئنان اقرب وهذا هو معنى افعل التفضيل في العربية . وفي قوله تعالى:**الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثه إلا هو رابعهم ولا خمسه إلا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر إلا هو معهم اين ما كانوا** المجادلة ٧

يكون المقصود بادنى عددا قريبا من الاعداد المذكور وقريبا مما فوقها ولكنه إلى هذه المذكورة اقرب وربما يكون (اربعة) تحديدا لانه يشترك في الدنو نفسه من الثلاثة والخمسة لان (ادنى من دلك) يعني الثلاثة والخمسة ولا ينبغي التمسك بالمقابل له (اكثر) على ان المقصود بادنى هو(اقل) لان المناجاة لا تحصل من واحد لانها مشاركة واما الاثنان فليس قريبا من الخمسة فلا يصدق عليه (ادنى من دلك) والمراد الثلاثة والخمسة وكذا لو جاوز العدد خمسة لا يكون دانيا من ثلاثة فلم يبق إلا الاربعة ولذا عقب بعد دلك بـ (ولا اكثر) اي اكثر من الخمسة .

وعلى هذه الشاكلة يمكن جلاء المعنى الدقيق لـ (ادنى) في التعبير القراني إذ هو بمعنى (اكثر قربا) وهو قرب لا تشوبه الخسة والرداءة كما فهم كثير من المفسرين من ظاهر قوله تعالى في امة من بني اسرائيل: **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخدون عرض هدا الادنى ويقولون سيغفر لنا وإن ياتهم عرض متله ياخدوه الم يؤخد عليهم ميتاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه** الأعراف ١٦٩ إذ قال الزمخشري : هو من دنو الحال وسقوطها وقلتها [٢٩] . وقال ابو حيان : معناه تخسيس لما ياخدونه وتحقير له [٣٠].وليس في الامر خسة ولارداءة إذا ما طلب المعنى الدقيق للفظة (ادنى) وما فعله هؤلاء انهم اكتفوا بظاهر الكتاب فاخدوا منه ما كان قريبا من فهمهم جميعا ولم يلتفتوا إلى ما يفهمه رهبانهم وعلمائهم الدين يحق لهم استنباط الاحكام ولدلك وقعوا في ترهات البسابس كلما عرض لهم حكم يلائم رغباتهم اخدوا به من دون تدبر ولا دراسة فعبر عن فعلهم هذا بالعرض الادنى اي الحكم القريب من المدارك المحدودة والمطلوب الحكم العميق المستحصل بالتدبر والاجتهاد الدي لا يصدر إلا من عالم ففيه . ويمكن قبول ما قاله المفسرون وهو ان (ادنى) بمعنى اكثر رداءة وخسة من

جانب ان متعلق ادنى المحذوف الذي سبقت الإشارة إلى ان السياق يستدعيه هو هابط دلاليا واصل التركيب : (الحكم العارض ادنى إلى فهمهم من الحكم الدائم) ولما كان هؤلاء الخلف جهلة محدودي الادراك غير قادرين على فهم التوراة هبطت دلالة اللفظ (ادنى) لان معناه يستدعي المفاضلة بينهم وبين غيرهم في قرب الحكم إلى مدارك الجهلة منه إلى مدارك العلماء . وعدا هذا الوجه ليس في (ادنى) اي ملمح دلالي على الحقارة او الابتذال او الانحطاط كما فهم كثير من المفسرين من وروده في سياقات قرانية يوحي ظاهرها بان ادنى تعني احط منزلة او احقر مكانا إذ ان ادنى باقية على معناه الوحيد وهو الدلالة على اشتراك موضعين او زمانين في الدنو والقرب من شيء ما وقد فاق احد دينك الموضعين او الزمانين صاحبه في الدنو من دلك الشيء . واما اللفظ (دنيا) مؤنث ادنى فقد خصصت دلالته في القران الكريم بالحياة المعهودة المشهودة زمانا ومكانا والمراد بالحياة الدنيا اي القريبة منا نحن الاحياء ولكثرة نعت هذه الحياة بالدنيا اكتفي بلفظ الدنيا ليكون اسما لها بعد ان كان نعتا وهو من باب التوسع في لفظ النعت ليحل محل الاسم وعلى الرغم من دلك فرق القران الكريم بين (الدنيا) و(الحياة الدنيا) فاستعمل الدنيا للدلالة على حياة البشرية منذ الاستخلاف في الارض حتى البعث على حين استعمل الحياة الدنيا للدلالة على حياة الانسان منذ ولادته حتى مماته وهذا مدرك واضح في القران الكريم فليتامل المتاملون .

(١) اسرار العربية للانباري(تحقيق بهجة البيطار ١٩٥٧): ١٦٧/١_١٦٨ وشرح عمدة الحافظ لابن مالك (مطبعة العاني ، ١٩٧٧) : ٤١٢ وشرح قطر الندى لابن هشام (تحقيق محمد محيي الدين ، ط١١، ١٩٦٣): ٢٣٠ _ ٢٣١ وشرح التصريح على

التوضيح للازهري(عيسى البابي الحلبي):١/ ٣٤٠_٣٤٢. وهمع الهوامع للسيوطي (دار المعرفة ، بيروت) : ١٩٩/١_٢٠٠.

(٢) الكشاف للزمخشري (دار الفكر ١٩٧٧) : ٣/ ٥٤٦.

(٣) الكشاف ٥٤٦/٣ .

(٤) المفردات للراغب الاصفهاني (الدار الشامية ، بيروت) : (زوج)

(٥) الكشاف٥٠٧/٢.

(٦) نفسه

(٧) مغني اللبيب لابن هشام (تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مؤسسة الصادق ، دمشق) : ١١١/١_١١٣.

(٨) الكشاف ١/ ٢٥٦_٢٥٧. (٩) نفسه ٤٩٢/٣. (١٠) نفسه ٦٣٠/١. (١١) نفسه ٢١٠/٣. (١٢) نفسه ٣٩٢/٣.

(١٣) الكشاف ٢٨٤/٢ و ٢٥٣/٣ و٢٦٩/٤والبحر المحيط لابي حيان (مصر ١٣٢٨هـ) : ٤٩٠/٨ وروح المعاني للسيد محمود الالوسي (إدارة الطباعة المنيرية _دار إحياء التراث العربي) : ٣٠/ ١٧٦.

(١٤) الكشاف : ٢٥٧/٣.

(١٥) البحر المحيط : ٦٣٤/٤

(١٦) النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير(تحقيق الزاوي والطناحي ١٩٦٣) : (تحت)

(١٧) ينظر النهاية (تحت) واللسان (مصورة عن طبعة بولاق) :(تحت) .

(١٨) البحر المحيط ١٤٧/١.

(١٩) شرح نهج البلاغة للبحراني (دار الثقلين بيروت ١٩٩٩) : ٥/ ٢٦٤.

(٢٠) الكشاف: ١/ ٢٤٣

(٢١) حاشية الجرجاني على الكشاف : ٢٤٣/١.

(٢٢) البحر المحيط ١/ ٤٤٧ .

(٢٣) الخصائص لابن جني (تحقيق النجار ، دا الشؤون الثقافية) : ١٣٥/٢_١٤١.

(٢٤) إعراب القران للنحاس (تحقيق زهير غازي ، مطبعة العاني بغداد) : ٣/ ٣١٤

(٢٥) مجاز القران لابي عبيدة (تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي) : ٢٤٥/٢ والكشاف ٤٥٣/٤ والبيان في غريب إعراب القران للانباري(تحقيق طه عبد الحميد طه ، الهياة المصرية ، ١٩٨٠) : ٤١١/٢ ٢٤٦. والجامع لاحكام القران للقرطبي(دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦): ١٧/ ١٧٦_١٩٠ .

(٢٦) ينظر : معاني القران للفراء (عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠): ٤٢/١ والمحتسب لابن جني (تحقيق النجدي والنجار وشلبي القاهرة ١٩٥٩) :٨٨/١ .

(٢٧) الكشاف ٢٨/٤.

(٢٨) البحر المحيط : ٢/ ٥٦٨.

(٢٩) الكشاف : ١٦٤/٢.

(٣٠) البحر المحيط : ٤/ ٥٢٥